

بيان "صريح مبين لموقف المسلمين

إزاء الاضطرابات"

1929/10/19

المجلس الإسلامي الأعلى

فلسطين

بيان في موقف المسلمين

طبعه المجلس الإسلامي الأعلى في 16 جمادى الأولى

1348 – 19 أكتوبر (تشرين الأول) 1929

بيان في موقف المسلمين في فلسطين

بعث رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بهذا الكتاب التالي إلى جريدة ((التيمس)) في 11 ربيع الثاني 348 – 21 أيلول (سبتمبر) 1929، ولم تكن الجريدة المذكورة قد نشرته إلى هذا التاريخ 16 جمادى الأولى – 19 أكتوبر. فرأى المجلس الإسلامي الأعلى أن ينشره بهذه الصفحات برجاء أن يلقي آذاناً مصغية عند الذين لم يقتحموا بعد السياسة العدوانية في فلسطين.

سيدي محرر (التيمس)

لندن

قد كان من الصعب على الشعوب الغربية أن تصل إلى بيان جلي يوضح لها حقيقة الاضطرابات التي وقعت في فلسطين والحالة التي سببت تلك الاضطرابات. وهذه الصعوبة التي حالت دون ذلك، إنما هي آتية من ناحية الدعاية الصهيونية المنظمة التي ترمي إلى تشويه سمعة السواد الأعظم من الشعب العربي الفلسطيني، وإلى تعمية أغراضه الحقيقية الثابتة. ثم إنه ليس لعرب فلسطين من وسائل التأثير لدى الرأي العام الغربي مثل ما للصهيونيين من تلك الوسائل

*المصدر: "حوليات القدس، مجلة دورية تعنى بتاريخ مدينة القدس ومجتمعها وثقافتها"، 11 (صيف 2011): 77 – 79.

المتوفرة لهم كثيراً، يمدهم بها ممثلوهم أرباب النفوذ والمال في الخارج. ولهذه الأسباب، لم يكن لوجهة نظر العرب لسان حال لدى الرأي العام الغربي، وما نقل عن وجهة نظر العرب بواسطة المكاتب الصحفية الأجانب الذين أوفدوا إلى هنا خلال الاضطرابات، فقد كان على شكل من الأشكال تابع للمكاتب المذكورين في ما لهم من خصائص عقلية، وأساليب في كيفية النقل، وطرق الفهم، وما لهم من نزعة وهوى. وعليه أرجو أن تفسح جريدة التيمس أعمدتها المحايدة لهذا البيان الصريح المبين لموقف المسلمين إزاء الاضطرابات الأخيرة، وإزاء الحالة العامة التي ولدت تلك الاضطرابات.

1- ليس من الحقيقة في شيء، أن لشعور الأهالي المسلمين في فلسطين صفة العداء السامي. فإن العداء السامي، وهو ابتكار أوروبي، من الصعب على المسلمين أن يفسحوا له مجالاً عندهم، وعاطفة بغض اليهود لأنهم يهود، لم تلق تربة خصبة عند المسلمين، ولم تبلغ في نفوسهم شيئاً من ذلك المبلغ الرائع الذي بلغته عند الشعوب المسيحية. ونظرة عجلت تلقى على التاريخ الإسلامي أو العبري، تؤيد صحة هذا القول كل التأييد. فإن أزهى الأدوار لارتقاء الثقافة العبرية، كان في ظل الحكام المسلمين الكرام المحسنين، في إسبانيا وأفريقيا وفلسطين وغيرها. وقد انقضت سنون عديدة قبل الحرب، والمهاجرون اليهود المسالمون يأتون إلى فلسطين ويستوطنونها ويعيشون فيها على الصفاء مع جيرانهم العرب. ولم ينقلب الشعور الإسلامي العام مناوئاً للصهيونية، إلا بعد أن ظهرت الصهيونية نفسها، بسياستها العملية المعتدية المتوالية، تنذر حقوق المسلمين بخطر كبير، تلك الحقوق التي على المسلمين قاطبة حياطتها وافتدائها بكل غالٍ عزيز.

2- وليس من الحقيقة في شيء أن لشعور عرب فلسطين صفة العداء البريطاني. فأولئك الذين يعلمون ما قام به العرب عامة، وعرب هذه البلاد خاصة، من الأعمال، وما كابدوا من الشدائد، في سبيل قضية الحلفاء خلال الحرب العامة، جدير بهم أن لا يقيموا وزناً لذلك الزعم، وهناك ألوف من الرجال الإنكليز الذين لا يزالون يذكرون الترحيب الذي لاقى به عرب هذه البلاد الجيوش البريطانية صدر الاحتلال. أما الاضطرابات الأخيرة، بقدر ما

للمسلمين من العلاقة بها، فهي بسببها الطبيعي الذي خرج عن حد الضبط، احتجاج ليس على الحكومة، ولا على وجود اليهود في فلسطين، ولا على الجنس اليهودي، ولكن على الاعتداء الصهيوني الجائر المقاوم للسنن الطبيعية.

3- وليس من الحقيقة في شيء أن الاضطرابات الأخيرة قد (دبرتها السلطات الإسلامية) كما راح الكثيرون من الزعماء اليهود والصهيونيين، يجهدون أنفسهم لإذاعته بتصريحاتهم المتواليّة. وليس من الحقيقة من شيء أيضاً، الزعم الذي زعمه في الآونة الأخيرة ذو مقام عالٍ كان أجدر به أن يكون أوفر حظاً في العلم بالواقع، من أن (أفندية العرب)، هم الذين أثاروا الفتنة (لأغراض سياسية)، فإن السلطات الإسلامية، قد قامت بكل ما في وسعها، كما تعلم حكومة فلسطين هذا جيداً، لتسكين الشعور الهائج ولتدراً المكروه. وإننا نأسف كل الأسف في ما وقع من الخسائر في الأنفس من الفريقين خلال الاضطرابات، ونعلن ونحن البعيدون من تدبير القلاقل والفتن والكارهون لها، أننا قد بذلنا أقصى الجهد وغاية المستطاع لنمنع وقوع الذي وقع، ولما وقع ويا للأسف، سارعنا إلى توقيفه وقمعه بكل قوة لدينا.

والآن أرجو أن تسمحوا لي بإيجاز الكلام على الحالة الحاضرة التي اكتنفت المكان المعروف عند المسلمين (بالبراق) وعند اليهود بالحائط الغربي (قوتال هارافي) وعند المسيحيين الغربيين (بالمبكي).

إن البراق هو جزء صغير من الحائط الغربي للحرم الشريف، أعني الحرم الإسلامي المقدس الذي يطلق عليه الأجنب اسم (مسجد عمر) خطأ محضاً. وليست بقعة الحرم برمتها هي وحدها مقدسة، بل إن البراق نفسه له مكانة خاصة من التقديس، وورد ذكره في القرآن الكريم، وما يحيط بالبراق من الجهات الخارجية، وقف إسلامي لا نزاع فيه منذ خمسمئة سنة من غير انقطاع. والحرم الشريف ملك إسلامي منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف القرن، غير أنه في الزمن الأقدم قام في

مكانه ثلاثة هياكل يهودية متعاقبة، والأبنية التي في الحرم الشريف، ومنها الجدران المحيطة، كل ذلك آثار إسلامية، غير أنه يظن أن ثلاثة مداميك السفلية في الحائط الغربي هي بقية باقية من الهيكل الأخير الذي بني في عصر هيرودس. ومن أجل هذا، أخذ اليهود منذ قرون يعتادون الذهاب إلى الحائط ليبيكوا على خراب الهيكل، ولكن يجب أن لا يذهب عن البال أن بكاءهم هذا إنما هو لخراب هيكل سليمان، الهيكل الذي ليس له بقية باقية في الحائط الغربي أو في أي مكان آخر.

والمسلمون لم يسبق لهم أن عارضوا اليهود في زيارة جدار الحرم الشريف، فإن جدران الحرم ممكنة الزيارة لأي من الناس سواء كان يهودياً أم مسيحياً أم وثنياً. وعادة اليهود لزيارة البراق نشأت بفضل التسامح الإسلامي، واستمرت طويلاً حتى أصبحت حقاً مكتسباً. ولكن الحق المكتسب في زيارة الجدار هو شيء يختلف كل الاختلاف عن حق الملك، حتى وعن حق التصرف الذي يحاول اليهود بمدّعياتهم في السنوات الأخيرة إحدائه هناك. ثم إن مدّعيات اليهود ومحاولاتهم لم تقتصر على هذا فقط، بل جاوزته إلى جلب الكراسي، ونصب المقاعد والطاولات، والمصابيح، والحصر، وتابوت العهد، وكتب التوراة، والحاجز الفاصل بين الرجال والنساء، حتى يتمكنوا بكل هذا من أن يقيموا علناً وبالفعل كنيسة يهودياً في مكان يقدّسه جميع العالم الإسلامي تقديساً خاصاً. يُضاف إلى هذا أن كتابات الصحف اليهودية الغير رسمية وأقوال جمهور اليهود، في فلسطين، كانت كلها ترمي إلى أن يتخذ اليهود من البراق رمزاً عظيم الشأن، اعتياضاً عن الهيكل.

وقد ظلت الأمور تتقلب في مجراها حتى بلغت حدها الأعلى يوم عيد الصوم اليهودي سنة 1928، وإذ تراءت وقتئذ لحكومة جلالته الأخطار التي تتولد من الحالة، أصدرت (الكتاب الأبيض) في نوفمبر سنة 1928، وفيه حدّدت الحالة الحاضرة المتعلقة بالحائط. وكفل (الكتاب الأبيض) المحافظة على الحالة الحاضرة، وضمن الملكية الإسلامية للمكان، وردّ الحق المكتسب لليهود إلى حق الزيارة فقط. والمسلمون لم يطلبوا شيئاً أكثر من هذا، وما كاد (الكتاب الأبيض) يصدر، حتى قامت الهيئات الإسلامية المسؤولة في البلاد، تطالب حكومة فلسطين بإلحاح تنفيذ مآله، ومع انقضاء تسعة أشهر على صدوره والتشادّ أخذ مأخذه من الفريقين، ولم ينفذ منه شيء.

وفي هذا الدور، فإذا بالجمعية الصهيونية نفسها، وكانت إلى هذا الوقت غير معروفة بغيرتها الدينية، تظهر على رؤوس الأشهاد وتقف موقف الفريق اليهودي المناضل، وتحول المسألة من قضية دينية إلى قضية سياسية. ثم كان المؤتمر الصهيوني في زوريخ هذا الصيف، فدارت فيه الأبحاث والمناقشات في قضية البراق بحماسة رائعة لم يسبق لها مثيل، وفيه قال أحد كبراء اليهود الذي ينبغي له أن يلمّ بالمسائل إماماً أصح، (إن الحالة الراهنة غير كافية) لليهود. وقد أنفذ المؤتمر وفداً على متن الطائرة إلى لندن ليلاحق المسألة لدى الحكومة الإمبراطورية الجديدة ابتغاء نقض الكتاب الأبيض، وما ألقى في زوريخ من خطاب، وما اتخذ من تدبير هناك، كان يظهر صداه في الصحف العبرية هنا مقروناً بأشد الهياج والإكبار. وهذا الهياج الذي أوقدت ناره بين اليهود، كان ينظر إليه العرب والصحف العربية، بعين القلق والريب الزائد، إلى أن بلغ هياج اليهود مبلغه الأعظم يوم 14 أغسطس وهو يوم ذكرى خراب الهيكل، فاحتشدت زرافاتهم في القدس من جميع أنحاء فلسطين لتقيم مظاهرة نهلت منها القدس كل الدهول. ففي مساء ذلك اليوم طافت الجموع اليهودية حول أسوار المدينة، وفي اليوم التالي قامت بمظاهرة قومية عند المبكى نفسه، والقيت الخطب ورفعت الأعلام، ولكن لم تكن تلك المظاهرة لغرض ديني قط، وإثباتاً لصحة هذا، بوسعي أن أتكلم كلام شاهد عيان، لأن منزلي واقع في أحد جانبي المبكى، وحدثت هذه الأعمال تحت نوافذ بيتي، وشاهدتها بأم عيني، وفوق هذا فقد اعترف بيان الحكومة المؤرخ في 17 أغسطس بهذه الحقيقة. ولم يكن بوسع أي محب للسلام، اعتباراً للصفة الإسلامية المقدسة التي ليست للجدار فقط، بل للمكان المحيط به أيضاً، إلا أن ينظر إلى هذه الإهانة التي اقترفها الصهيونيون، بعين الدهش والاستغراب.

ومع هذا كله، ومصداقاً لما ذكرته أعلاه، فإن المجلس الإسلامي الأعلى، والسلطات الإسلامية المسؤولة، بل والزعماء العرب من مسلمين ومسيحيين، جميعهم بذلوا غاية الجهد للمحافظة على السكينة بصبر وطول أناة. وحقاً قد بقي السواد الأعظم من المسلمين، أوقات الاضطرابات كلها، معتصمين بأهداب الهدوء والسكينة، ولكن، بفعل الشعور الذي هاج هائج في اليهود والمسلمين من جراء التصادم بين الفريقين في مصالحتها الدينية والسياسية من حيث الجوهر والأساس، وقعت بطبيعة الحال اضطرابات في القدس بادئ ذي بدء، ثم في أماكن أخرى

تبعاً لانتشار الأخبار والأنباء، وإني آسف كل الأسف لكل نقطة دم أريقت في هذه البلاد المقدسة، مهد الأديان، والتي ينبغي أن تكون مهد الراحة والسلام. وعرب هذه البلاد لا يحملون كراهية لأي جنس أو دين، غير أنهم إذا كان عليهم أن يشجبوا الأعمال الصهيونية بشدة، فإنما هم مسوقون إلى هذا بالسياسة الصهيونية نفسها، التي أرهقت حقوق أهالي البلاد الدينية والسياسية إرهاباً عدوانياً لا يحتمل، مما أثبت أن الغاية النهائية للسياسة الصهيونية، كما يظهرها لنا الصهونيون أنفسهم، لا سبيل إلى تحقيقها دون أن تكون مكتسحة لتلك الحقوق.

ويعتقد عرب فلسطين، أن السلام الدائم وحسن التفاهم بين جميع الطوائف، في هذه البلاد، لا يمكن أن يكونا إلا بسيادة العدل والإنصاف للجميع بقطع النظر عن الجنس والدين. والسبيل إلى إقامة هذا العدل، هي:

أ- إنشاء حكومة ديمقراطية نيابية، يشترك فيها المسلمون والمسيحيون واليهود، كل بحسب نسبته العددية.

ب - تغيير السياسة الحالية الجائرة والغير طبيعية، وهي السياسة المبنية على غرض تسخير الكثرة المطلقة من سكان هذه البلاد لمصلحة أقلية صهيونية قد لا يزيد عددها على مئة وعشرين ألف نفس.

وإننا ننتظر بملء الثقة وصول لجنة التحقيق، والتحقيقات التي ستقوم بها هذه اللجنة ستكون مؤيدة لما ذكرت في هذا البيان، الذي نرّهته كل التنزيه عن أن يعلّق به أي شيء قد يقال أنه من قبيل الجدل، وأن يفتح مجالاً للسؤال والأخذ والرد. وقد وجهته إلى الذين من شيمتهم رزانة العقل والفكر، من أي جنس أو دين كانوا. وأحسبه باتاً في مضامينه، بحيث لن أدخل في باب الأخذ والرد حوله.

محمد أمين الحسيني

رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbeirut@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه الوثيقة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/resources/documents>